اسم المادة الدراسية عربي : أدب عصور متأخرة .

اسم المادة الدراسية الانكليزي :Literature of Later Ages

اسم المحاضرة : الهجاء والخمريات في الأغراض الشعرية التقليدية.

اسم التدريسي : أ. د. محمد عويد محمد الساير .

المستوى الدراسي : الثالث .

الدراستان : الصباحي / المسائي .

أدب عصور متأخرة : المحاضرة الرابعة .

الهجاء :

وهو ضرب من النظم ، يعبر عن الشر المتأتي من الخصومة والعداوة والمشاجرة ، او الكراهية والحقد والضغينة والحسد واللؤم .. وغالبا ما تزدحم فيه معاني الذم والاحتقار والتندر والاستهزاء ، او النعوت المشينة مثل الغدر والبخل والجهل والحمق .. ويصل عند بعض الشعراء إلى استخدام الفاظ القذف والسب والثلب والشتم الرخيص الذي تمجه الأذواق ، وتستهجنه النفوس الطيبة ، كما يلاحظ في أهاجي أحمد بن عبد الدائم بن يوسف الكناني الشارمساحي (ت ٧٢٠هـ)، الذي لم ينج من لسانه البذيء رجال عصره. الفضلاء. ولم يسكت له الشاعر ابن دانيال الموصلي حينما سمع منه كلامة جارحة ، ونظم فيه قصيدة ، قال فيها:

جوابك يا شرمساحي صفع ودفعك عن طريق الضر نفعُ
بدائه لا بدائع منك دلت على لثوم ، ولؤم المرء طبعُ
فما لك في الرقاعة قط رفع ولا لك في الوضاعة قطَ وضعُ

ويطيل الحديث في ذم خصمه وتجريده من كل فضيلة ونباهة ، و في خاتمة هذا الحديث يبرر موقفه من هجمته عليه ، فيقول:

ولما أن سلحت عسلي هجوا ضحكت وقلست عني زال قطعُ
وما لي لن أجيب الكلب لكن لشرك بالذي قوبلت دفعُ
بعثت بها سهامة صائبات لنكس ما له للردع درعُ

وثمة شاعر آخر خبيث الهجو كما يقول الصفدي، هو الشاعر الضرير عز الدين الحسن بن محمد بن احمد بن نجا الإربلي (ت ٦٦٠هـ)، وقد قال فيه مجال الدين عبدالمجيد بن أبي الفرج بن محمد (ت ٦٦٧هـ) منذراً ومهدداً:

أعمى البصيرة والبصر ضل السبيل وقد كفرْ
ذم الافاضل ضلة كالكلب إذ نبح القمرْ

إن شعر القذف والإفحاش. والسباب مكروه ومستقبح ، وقبره خير من نشره ، ولذلك اعرضنا عن ذكر نماذج له ، و اخذنا بما قاله خلف الأحمر :

ابلغ الهجاء اعفه واصدقه ، وقال مرة أخرى : ما عم لفظه وصدق معناه، ومن

الخمريات :

الخمرة معروفة منذ القدم ، تولع كثير من الشعراء بمعاقرتها ، والتغني بها، والدعوة إلى شربها، أمثال الأعشى ، والأخطل ، وأبي الهندي، وأبي نواس.. ولعل الحياة الاجتماعية - ولا سيما في العصر العباسي وما بعده - والطبيعة الجميلة والمتنزهات و الحانات والسيارات إلى جانب الحرية أثرة

كبيرة في الإقبال عليها والاستئناس بذكر صفاتها ونعوتها. ومن طريف ما يروى أن أحدهم سمى ولده (مدامة)، وكناه أبا الندامى ، وسمى ابنته (الراح) ، وكناها أم الأفراح ، وسمى عبده (الشراب) ، وكناه أبا الإطراب، وسمى وليدته (القهوة) ، وكناها أم النشوة وقد انطلق كثير من الشعراء في العصر الذي ندرسه إلى شرب الخمرة ، ووصف مجالسها وسقاتها وكؤوسها ، وذكر ما تبعثه في النفس من نشوة .. وخصصوا - بابا لها في دواوينهم ، وكان أحد هؤلاء الشعراء و هو محمد بن محمد بن و عبدالعزيز الأسعردي (ت ٦٥٦هـ) ماجنة خليعة ، ضمن ما قاله مع هزلياته في ديوان سماه «سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون» ، وهو من ندماء الملاك الناصر يوسف بن محمد بن غازي (ت ٦٥٩هـ) صاحب حلب ثم دمشق و أحد شعرائه المقربين. وكان هذا الملك شاعرة ، وصل إلينا من نظمه في الخمرة والدعوة إلى شربها قوله:

اليوم يوم الأربعا فيه يطيب المرتعى
يا صاحبي أما ترى شمال المنى قد جمعا
وقد حوى مجلسنا جل السرور أجمعا

إن هذا الشعر الغنائي الذي جاء في مجزوء الرجز في غاية الخفة والرقة والسهولة والوضوح ، يطلب فيه الشاعر من ندمائه وخلانه أن ينهضوا، و يستغلوا ذلك اليوم، يوم الأربعاء ، ويتناولوا فيه الخمرة ، ويقرعوا كؤوسها ، وهي تدار بيد ساق وسيم أهيف شبيه بالبدر في بهاء إشراقه وحسن طلعته . ومثل هذه الدعوة نجدها أيضا عند أحد شعراء هذا الملاك المشهورين ، وهو شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري (ت ٦٧٥هـ)، مثل قوله في مخاطبة نديمه للقيام إلى اغتنام الفرصة بلا توان في شرب سبت الى تجار العقول في معناها:

يا نديمي، كم ذا التواني عن الله و، وهذي المدام والأوتارُ؟
فاصرف الهم إن ألم بصرف ذات معنى، فيها العقول تحارُ
تحار واغتنمها من كف ظبية خدر في يديها من صبغها آثارُ

ومما يثير الدهشة أن نجد شعراً كثيراً في الخمرة في كتاب المنشئ الإربلي للشاعر محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهير الأربلي (ت ٦٧٧ هـ) مع إن سيرته في المصادر تشير إلى أنه كان فقيها تقيا ورعا، فهو يزينها للسامع ، ويدعوه إلى الإقبال عليها والانصراف إليها جهرة وعلانية وقرع كؤوسها بلا احتشام ولا وجل، ولا سيما في قصيدته التي يقول فيها:

يا مضيعاً زمانه بالأماني قم بحق الربيع حق القيامِ
واغتنم غفلة الحوادث وأشرب غير مستكبر لكوب وجامِ
من كميت راقت ورقت فما تدر ك لطفا بالفكر والأوهامِ

وليس لنا إلا أن نقول : لعله نظم هذا الشعر تظرفا كما فعل الكثيرون آنذاك، واظهاراً للبراعة ، واقتداراً على مجاراة شعراء الخمر والزهر ، أو أنه نظمه في مقتبل عمره و فوران شبابه و قبل لبسه ثوب الحشمة والوقار

وسلوكه درب الزهادة والعبادة وتقوى الله. ولم يكن الشعراء بذكر الخمرة وأثرها ودبيبها في الجسم وتزيينها للشاربين ، بل راحوا يصدمون إلى جانب ذلك هاتها وكؤوسها وأباريقها الجميلة مثل قول الأديب سراج الدين عمر بن مسعود المعروف بالمحار(ت ٧١١هـ) في الأبيات الآتية:

يا حبذا شكل إبريق تميل به ... منا القلوب وتصبو نحوه الحدقُ
يروق لي حين أجلوه ويعجبني ... منه طلاوة ذاك الجسم والعنقُ